في رثاء هاشم سَمرجي

بقلم علي وجيه

17.كانون الثاني.2025

(١)

حينَ نقشَ الحانوتيُّ الانكَليزيُّ اسمَ الموصلّي الأعزب على التابوت، ابتسمَ الموصلّي، فهو، وإن لم يشاهد النتيجة كما هي، لكنَّهُ كان سعيداً بسماع الحكّ على ظهر التابوت، قالبِ الغرافيك بنُسختِهِ الفريدة، الواحدة. تلكَ التي ستقتنيها الأرضُ، ضمنَ مجموعتِها الخطيرة التي لا يمتلكُها سواها.

إبهامُهُ، الذي تشقّقَ طيلةَ ستّين عاماً إثرَ الحفْرِ، وتداخلتْ مع بصماتِهِ الأحبارُ الصينيّة، كان معقوفاً ونائماً في كفّهِ مثل عصفور، وشاربُهُ الأبيضُ، كان ضربةً من فرشاةٍ عريضةٍ، بدرجة التيتانيوم.

في المقبرةِ اللندنية، ربَّما ينزُّ الحبرُ من التابوت، رغمَ الجسد والشارب والشَعر بدرجات البياض المُستفِز، وفي بغدادَ، التمعَ، وراءَ كنبةٍ منسيّةٍ قلمُ حبر، باركر، فيما اجتمعَ العَسلُ، الصمغُ، السُّخام محبرةً، كانتْ تنفدُ سريعاً، ثمّ تمتلئ. وفي المكتبِ روائحُ مُزعجة من المذيّبات، لكنها كانت بطريقةٍ ما، روائحَ لذيذة.

في "السَرجخانةِ"، أو على الشاطئِ، كان الموصلّي العتيق ينظرُ للغرْبِين بوصفِهِ كثافةً، قبل أن تحملَهُ السيّارةُ لستّينات بغداد، بشبّانِها وشعورهم الطويلة، ونسائها بالتنانير القصيرة. وفيما كانَ الجميعُ يصرخُ: مضى بمساطرِهِ يخطُّ مُستقيماتٍ لا تتداخلُ، بحبرٍ أسود لم يكن إلاّ بدرجة واحدة، مُظلماً، قلبَ قاتل.

كان صامتاً، لدرجةِ أنَّ يديهِ تكلّمتا كثيراً.

(٢)

لندنُ الباردةُ، رغم المدفأة، أوقفتْ لياقةَ الأصابعِ

والسُّلاميّاتُ كانت تتصلّبُ مثل قَصَبات الخطِّ

والذهنُ يردّدُ: ما الفائدة؟

عملٌ لا يصلُ

أم صمتٌ لا يُسمع؟

كان الليلُ يهبطُ عليه، يستذكرُ ابنَ الروميّ وهو يصفُ حبرَ أبي حفصٍ بـ "لُعابِ الليل"، لكن الليلَ ليلٌ، يلهثُ مثلَ كلب القرآن: إن حملتَ عليهِ امرأةً أو لم تحمل.

محبرةٌ بلا حبر، وجسدٌ بلا امرأة، واسمٌ يُبتَرُ بلا ابن، لأن ذهنَ الموصلّي قالَ مرّةً لهُ: ما الفائدة؟ فمضى لليلِ لندنَ بأصابع باردة، بسُلاميّاتٍ أقسى من قصباتِ الخطّ.

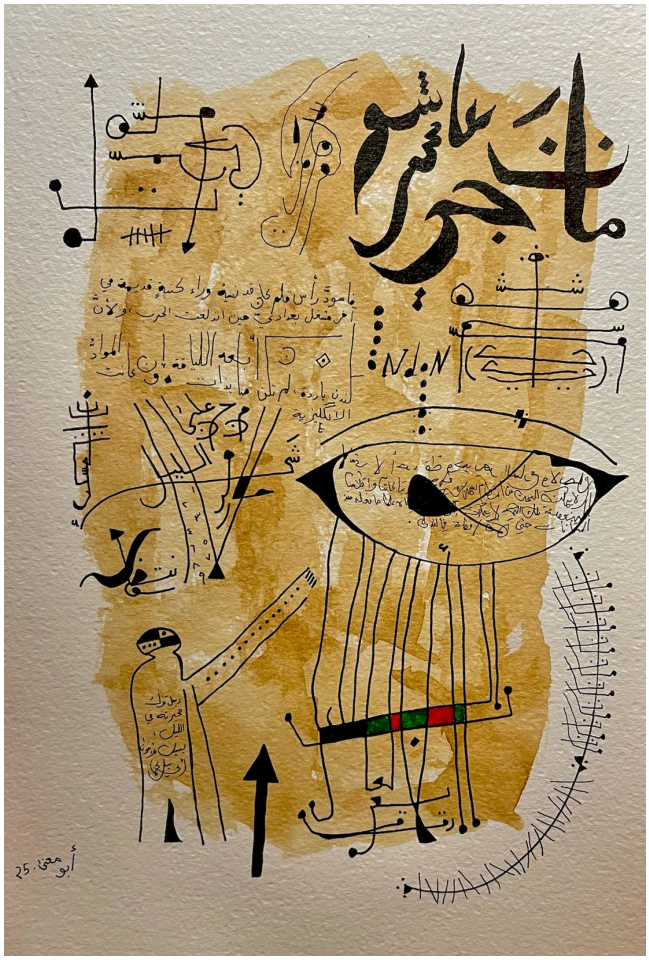

موتً سمرجي – حبر صينيّ على موادّ مختلفة، 2025

(٣)

العسلُ

السُّخامُ

خيطُ البريسم

قلم الباركر

ورجلٌ وحيدٌ غطَّى وجهَهُ قناع وامتدّتْ من رقبتِهِ حبالٌ وثيقة وخشنة.

لم يُجِزْهُ أحدٌ، كانت إجازته من المحبرةِ التي تُهمهمُ ليلاً، وتسحبُهُ من فراشِهِ إلى طاولةِ المعماريين التي ما مُورستْ عليها هندسةٌ قاسية، كان صامتاً طوالَ الليل، فيما المحبرةُ تهمهمُ، وكلَّما تحرّكتْ أصابعُهُ بحريّة، تذكرَ أصابعَ ابنَ مقلة، وبكى عليه.

لم تخرّب أيُّ دمعةٍ أيّ انتظامٍ حبريّ لديه، لكنَّ الموصلّي العتيق، الذي كان يبتسمُ بنهايةِ كلّ عملٍ أنيق، ببياضِهِ النظيف، وسوادِهِ الدقيق، لم يرَ العمل الأخير، ذاك الذي نقشَ اسمَهُ الحانوتيُّ الانكليزيّ على النعش الأخير.

(٤)

المحبرةُ توقّفت عن الهمهمة

وقلمُ الباركر، وراءَ الكنبة المنسيّةِ

مُنذ ستّينات بغداد

توقّفتْ لمعتُهُ مرّةً واحدةً، وإلى الأبد.